مفردات القرآن

ولانقول غريب القرآن ، لأن مدارسة القرآن على ألسن الملايين من الناس منذ بدء الوحي الى هذا العهد ، أخذت على الغرابة مجامع السبل ، فلم تجد اليه سبيلا ، فلا تجد لفظة من ألفاظه غير مألوفة الاستعمال ، ومعروفة المعنى ، واضحة المغزى . وهل الغرابة في الألفاظ الا كونها غير اليفة ، فيحتاج في معرفتها الى التنقير عنها في مطاوي المعاجم المبسوطة . وقديما عدوا الغرابة من عيوب الفصاحة ، فأنى لنا أن نلصقها ببعض ألفاظ القرآن ، وقد اجمع الأولون والآخرون على انه أفصح كلام عرفته اللغة العربية ، منذ كانت في المهد الى هذا العهد .

هذا ولسنا بحاجة الى بيان ما للقرآن من اليد المشكورة على لغة العرب ، لأن هذا من أوائل البديهيات ، فلقد كان القرآن ولا يزال ، المعين الفياض لعلماء اللسان . يردونه ظماء ، ويصدرون عنه رواء . ومن ثم توافروا على ضبط مفرداته ، وتحرير لغاته ، واستقصاء حقائقه ومجازاته ، وتصاريحه وكناياته ، ودقائقه ونكاته ، وذلك لأن الناحية اللسانية هي أول ما يستقبل طالب علوم القرآن من القرآن . ولهذا رأينا علماء الدين وطلاب اليقين يسيرون في هذه الناحية الى جنب علماء اللغة كتفاً لكتف ، فأسفر هذا التآزر عن احسن النتائج وأعظم الفوائد . وبديهي ان مفردات القرآن كترا كيبه هي لب لباب كلام العرب ، وصفوة الصفوة منه ، وانها معتصم المتأدبين ، ومرجع العلماء المحققين ، بل مثابة أمراء القول من المتقدمين والمتأخرين . ولله شيخ المعرة حيث يقول في عرض كلام له في رسالة الغفران « اجمع ملحد ومهتدي ، وناكب عن المحجة ومقتدي ، ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد ص كتاب بهر بالاعجاز . ولقي عدوه بالارجاز ، ما حذي على مثال ، ولا أشبه غريب الامثال ... وان الآية منه او بعض الآية لتعترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فتكون كالشهاب المتلألئ في جنح غسق ، والزهرة البادية في جدوب ذات نسق » .

ولا مرية في أن القرآن كان يخاطب العرب على وفق مناهجهم في مخاطباتهم وخطاباتهم ، وتفاهمهم في أفرادهم وجماعاتهم . وكان الصحابة يعرفون أكثر ما يرمي اليه من المعاني ، وما يومئ اليه من المغازي ، واذا غم عليهم شيء من ذلك فزعوا الى الرسول الكريم ، فينير لهم السبيل .

واكثر ما يكون تسآلهم عن الكلمات التي تصرف القرآن في أوضاعها ، وحولها عن مجاريها الاعتيادية الى معاني جديدة لم تكن من مألوف القوم قبلاً . مثل : القرآن . والايمان . والكفر . والصلاة . والزكاة . بمعانيها الشرعية . وقد غبر الناس على هذا حياته ص . ثم مدة حياة أصحابه من بعده ، الى ان فتح على العرب ممالك الأعاجم ، واختلطوا بحمرائها ، وصفرائها ، وبيضائها ، وسودائها . ومن هناك أخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً من بين فارسي ، ورومي . ونبطي ، وحبشي ، وغيرهم من مختلف الألوان التي دانت لسلطان الفاتحين ، فاختلط القوم بالقوم بالمساكنة والمجاورة ، والمخاتنة والمصاهرة ، والمصاحبة والمتاجرة . وبذلك تداخلت اللغات ، ونشأت ناشئة من صميم العرب في أحضان هذا التبلبل ، فجاءت مختلفة السلائق ، مضطربة الألسنة ، كما نبتت نابتة من أبناء الأعاجم ثقفت من العربية ما يسد حاجتها في المخاطبات والمحاورات . ومن هنا ذر قرن لغةٍ أمشاج ؛ لا هي بالعربية الصافية . ولا العجمية الصرفة ، ولم تفتأ هذه اللغة ان ملكت الهجين من السنة الدهماء ، واحتلت مكانة ضيقت فيها على المعربة أنفاسها . وما كاد ينطوي بساط المئة الأولى للهجرة حتى بدت وجوه الاختلال سافرة ، وظهر الاضطراب في عمود اللغة كل الظهور .

ومن هنا شعرت جمهرة القوم بمسيس الحاجة الى الاستفسار عن كثير من الفاظ القرآن الكريم ، واستجلاء معانيها التي كان أسلافهم يدركون مراميها بحكم سلائقهم ، لأنها من نوع ما كانوا به يتفاهمون ، وعلى نمط ما به ينثرون وينظمون . ولما رأى عقلاء الأمة وأهل العلم استرسال أمر الاختلال ، وتفاقم الاضطراب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والاختبال — استفزتهم الحمية وأهابت بهم الغيرة ، فانصرف فريق منهم لرأب هذا الصدع ، وسد هذا الثغر

وأول من بلغنا انه جمع شيئًا في تفسير بعض مفردات القرآن ابو عبيدة معمر ابن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩ فقد ذكروا أنه الف في هذا كتاباً اسماه (المجاز في غريب القرآن) وآخر اسماء (معاني القرآن) . والمراد بمعاني القرآن تفسير مفرداته . وهو اصطلاح معروف عند المتقدمين . وحيث رأيت في كتب علوم القرآن : قال أهل المعاني فالمراد بهم مصنفو الكتب في مفردات القرآن . وتجد في فهرس كتب الأصمعي كتاباً اسمه : غريب القرآن . والأصمعي من معاصري أبي عبيدة وتأخر عنه قليلا .

ثم أقبل أهل العلم على التأليف في هذا الموضوع حتى لا يكاد يقع نظرك على فهرس من فهارس ائمة اللغة الا وتجد صدره متحليًا باسم كتاب في هذا المعنى . منهم الزجاج والفراء ، ومحمد بن القاسم الانباري ، وابو عمر الزاهد ، ومحمد بن عبد الواحد . وابن دريد وغيرهم خلق كثير . وكان من اجمعها كتاب ابي عبيد القاسم ابن سلام (المتوفى سنة ٢٢٣) وكانت الكتب المصنفة في هذا الفرع من العلم عارية من الترتيب غفلاً من التبويب ، وكانت بالمجاميع اللغوية أشبه منها بالكتب ذات الفصول والابواب . واستمر الامر على ذلك الى ان جاء ابو بكر محمد بن عزيز السجستاني (المتوفى سنة ٣٣٠) فألف كتابه المشهور (بنزهة القلوب) ورتبه على حروف المعجم ترتيبًا لم يسبق اليه ، فبدأ بالهمزة المفتوحة ، وثنى بالمضمومة ، وثلث بالمكسورة . وهكذا فعل بسائر حروف المعجم على الترتيب المشهور . وهذا الكتاب على صغر حجمه من أتقن ما ألف من نوعه . وقد قيل انه أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري ، وكان يتعهده بالتصحيح والتجويد بين حين وآخر .

ولم تزل التآليف في هذا الباب آخذة في الاتساع من حيث الكمية ، والاجادة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من حيث الكيفية ، الى ان جاء ابو عبيد احمد بن محمد الهروي (المتوفى سنة ٤٠١) وصنف كتاباً كبيراً جمع فيه بين غريبي القرآن والحديث ، ورتبه على حروف المعجم فاستخرج الكلمات اللغوية التي تحتاج الى التفسير والتوضيح . واثبتها في حروفها وذكر معانيها . فاذا أراد الانسان كلمة وجدها في حرفها . فجمع كتابه هذا بين دقة التحقيق ، وجودة الترتيب والتبويب . ولذلك اعتمد عليه الناس من بعده واكثروا عليه من الاستدراكات والتعليقات والاضافات ، الى أن جاء الحافظ ابو موسى محمد بن ابي بكر المديني الاصفهاني فصنف كتاباً جمع فيه مافات الهروي من الغريبين ، وسلك في وضعه وترتيبه مسلك الهروي ، فجاء مماثلاً له حجماً وفائدة ، وغبر الناس يعتمدون في هذا الأمر على هذين الكتابين الجليلين وما سبقهما من الكتب المهمة الى ان جاء أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الاصفهاني (المتوفى سنة ٤٠٢) فألف كتابه مفردات الفاظ القرآن ، مرتباً على حروف الهجاء ، مقدماً ما أول اصوله الهمزة ثم الباء الى آخر حروف المعجم ، مشيراً الى المناسبات التي بين الالفاظ المستعارة والمشتقة . فجاء كتابه هذا من أحسن ما الف في بابه من حيث غزارة المادة ، وكثرة التحقيق ، وحسن الاختيار ، وبعد النظر ، فهو — في نظرنا — افيد معجم يرجع اليه الطالب في تحقيق معاني الألفاظ القرآنية ، وعليه اعتمد البيضاوي في تحرير تفسيره من ناحية معاني الألفاظ وأصول اشتقاقها . ولم نعرف من بعده كتاباً يفضله في موضوعه هذا ، ومن الواضح أن المؤلفين في هذا الفرع يستقون حاجتهم في المعين الذي تستقي منه اللغة العربية على العموم ، زيادة على استعانتهم بالاحاديث النبوية وآثار الصحابة ، كالمنقول عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فانه ورد عنهم في هذا الباب الشيء الكثير الجدير بالاعتماد تجد ذلك منثوراً في كتب التفسير ودواوين اللغة . وقد أحصى منها جلال الدين السيوطي في (الاتقان) ما يقرب من ثمانمائة كلمة مع تفسيرها على طريق الايجاز .

بغداد : طه الراوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net